الفصل الثالث عشر

مستقبل الأقليات الإسلامية فى العالم

بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر
مستقبل الأقليات الإسلامية فى العالم
بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

رفعت الولايات المتحدة وحلفاؤها بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م)، التي ضربت برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وأحد أجزاء مبنى وزارة الدفاع في واشنطن، شعار "تجفيف المنابع المالية للإرهاب" بغرض حرمان ما سمتهم بـ "الإرهابيين" من مصادرهم المالية التي يستخدمونها في تنفيذ عملياتهم حول العالم، مركزة بشكل خاص على تتبع الشبكة المالية لـ " أسامة بن لادن " زعيم تنظيم القاعدة الذي تتهمه بالتفجيرات، وبأنه الممول الرئيسي للإرهاب في العالم.

وفي سبيل ذلك أصدرت الولايات المتحدة القوانين، واتخذت الإجراءات على المستويين الداخلي والخارجي، ووجهت أصابع الاتهام هنا وهناك، وطلبت من دول العالم المختلفة الاشتراك في هذه الحملة ، وأخذت الاتهامات الأمريكية لبعض الدول بـ "تمويل الإرهاب" وبعض الأشخاص والمؤسسات بالتورط في هذا الأمر، بعدًا جديدًا أكثر خطورة وجدية، حتى إن الكثير من البنوك والشركات والجمعيات في الدول العربية والإسلامية خصوصًا وضعت في دائرة الاتهام، وأصبح عليها أن تقدم أدلة براءتها وإلا خضعت للعقاب والحصار .

وبالتالى كانت الأقليات الإسلامية في الغرب ولا تزال معرضة لأحد خطرين يستهدفان هويتها : الأول هو التذويب في مجتمعات غير إسلامية قد لا تحترم أصول الدين الإسلامى، وقد لا تعترف به من الأساس، والثانى : هو شن الحروب وتدبير المؤامرات والدسائس التي تستهدف الدول والأقليات الإسلامية وكل ما يخالف الغرب في الفكر والعقيدة.

وقديما وفي ظل المنظومة الشيوعية كان المسلمون يجبرون على ترك دينهم ولغتهم حتى أسمائهم الإسلامية التي كانوا يمشون بها بين الناس، وكان عليهم أن يستبدلوها بأسماء روسية أو غربية في محاولة للقضاء التام على الإسلام حتى في المسميات، كما كانوا يمنعونهم من نصب شاهد على قبورهم يشير إلى أن هذا قبرًا لمسلم ، وكان

تداول المصحف أو قراءة آيات من القرآن عملا يجرمه القانون الروسي حتى إن عقوبتها وصلت في بعض الأوقات إلى القتل أو الحبس مدى الحياة.

أما في زمن الديمقراطية الغربية قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر فكان ضغط المجتمع؛ ومحاصرة الفساد للأسرة المسلمة في الغرب ؛ عوامل ضاغطة من أجل تذويب الأقليات المسلمة في مجتمعات تتنافى سلوكياتها مع ما ينادى به الإسلام ويحث المسلمون على اتباعه من قيم ومبادئ ، وأحيانا كان القانون يقف في أوربا أمام استعلاء أو ظهور أى تمييز إسلامى عن المجتمع – الذي هو عند بعض الدول إرهاب.

ويؤكد هذه الحقيقة أزمة الحجاب في فرنسا وبريطانيا وأزمة الذبح على الطريقة الإسلامية في بلجيكا، وهولندا، ومشكلات الدفن على الطريقة الشرعية كما في ألمانيا وسويسرا والصين واليابان، وكان التصريح بالهوية الإسلامية تهمة في الولايات المتحدة وكندا، وخاصة بعد التفجيرات الأخيرة بنيويورك وواشنطن التي أطاحت بمسلمات كانت راسخة في الفكر الأمريكى يأتى على قائمة الدلالات الإستراتيجية لأحداث سبتمبر أنها عكست تطورا ثوريا في ظاهرة الإرهاب الدولي ، والذي نادت به مصر وقادتها منذ عام (١٩٨٠م) وحتى مؤتمر السلام في شرم الشيخ (١٩٩٨م) حيث أصبح الإرهاب يشكل خطورة عن الحروب التقليدية التي تعودت الشعوب عليها فى عصور مضت.

هذا بالطبع لا يقلل من قصور أجهزة الأمن القومي الأمريكى التي فشلت في تدارك الحدث قبل وقوعه على الرغم من العلم المسبق بأن حادثا قد يطرأ على الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تتعرض لعمل تخريبى محتمل ومتوقع القيام به من خلال عناصر تابعين لجماعة "أسامة بن لادن" أو تنظيم القاعدة في وقت قريب كما أشارت إلى ذلك تقارير الكونجرس بعد الكارثة، إلا أن الصورة التي تم تنفيذ العملية الإرهابية بها، لم تكن تطرأ على خيال قاده الفكر العسكري بالبنتاجون،أو الخبراء العسكريين في سلاح المشاة الأمريكى أنفسهم ونسب الحادث بمجرد حدوثه ومنذ لحظته الأولى لتنظيم القاعدة والثرى السعودي "أسامة بن لادن" .

أعقب ذلك حملة إعلامية عنيفة على الإسلام والمسلمين، وخاصة الأقليات الإسلامية في أوربا وأمريكا، ومطالبة العديد من المنظمات والتيارات والجماعات

والأحزاب بالعديد من الدول الأوربية بطرد المسلمين ، وكل من ينتمي إلى الإسلام بما فيهم أبناء البلد الأصليين الذين تحولوا عن عقيدهم إلى الإسلام إلى بلدان الشرق الأوسط ، وتخريب مقدساتهم والاستيلاء على ما جمعوه من أموال ومدخرات فى دول الغرب على مدار سنوات عديدة مضت، بل وصل الأمر ببعض المفكرين المتعصبين إلى القول بضرورة هدم البيت الحرام بمكة المكرمة مقابل ما كان من الإسلام على يد السعودي "أسامة بن لادن " وقد جاءت الصحف وهى تحمل العناوين التالية:

١٥٠ مليار دولار أموالا عربية مشتبه في مشاركتها في تمويل عمليات إرهابية فى أوربا وأمريكا.

- "بيان ليما" لمكافحة الإرهاب يشدد على تجميد أموال المنظمات "الإرهابية" فى أمريكا .

١٤٩دولة تؤيد الاتفاقية الدولية لمنع تمويل الإرهاب فى العالم وخاصة للجماعات فى الخارج .

- مجموعة السبع الصناعية الكبرى : إنشاء هيئة لتعقب مصادر تمويل الجماعات الإرهابية.

- لجنة العمل المالي في الدول الغربية تخطط لوقف تدفق الأموال للجماعات الإرهابية .

- مجموعة الدول الـ (٢٠) تدرس سبل مكافحة تمويل الإرهاب والتطرف الإسلامى فى العالم .

- إجراءات لمجموعة العشرين لمكافحة عمليات تمويل "الإرهاب العالمي".

- الأمم المتحدة تأمر بتجميد أموال (٦٦) منظمة متهمة بالإرهاب فى العالم .

- الدول الصناعية الكبرى : تجميد أكثر من (١٠٠) مليون دولار من أموال تمويل الإرهاب .

وجاء في إطار تداعيات الحدث أيضا إعلان الحرب الصليبية على العالم الإسلامى كما جاء على لسان الرئيس الأمريكى " جورج دبليو بوش " عند أول ظهور له على شاشة التليفزيون الأمريكى بعد التفجيرات ؛ وأشار خلال حديثه إلى ضرورة تقسيم العالم إلى دول مع الولايات المتحدة ، ودول أخرى ضد الولايات المتحدة ومن يرفض

تأييد السياسة الأمريكية والإجراءات التي تعتزم القيام بها ضد بعض الأنظمة والحكومات والجماعات الإسلامية أيا كان تواجدها تصبح دولاً معادية للولايات المتحدة الأمريكية ، بل أصبح هناك دول مارقة أو ما يعرف أمريكيا بمحور الشر، فالمجموعة الأولى تمثل الدول التي ترعى الخلايا الإرهابية مثل : أفغانستان والسودان وسوريا ، والمجموعة الثانية هي الدول المتهمة بحيازة أسلحة الدمار الشامل والتي تقوم بتمويل هذه الجماعات بالسلاح والقنابل اليدوية والتي كان منها : العراق وإيران وكوريا الشمالية.

ومع أن كل دول العالم أدانت الحدث لبشاعته والدمار والخراب والقلق والرعب والفزع الذي تعرض له المواطن الأمريكى ، وتعاطف الجميع مع الأسر الأمريكية بغض النظر عن الدين أو العرق أو حتى لون البشرة، إلا أن الولايات المتحدة لم تنتظر حتى تتضح الرؤية حول مرتكبي الحدث وراحت تتهم الإسلام والعقيدة الإسلامية بأن نصوصها المقدسة هى التي تحث المسلمين على كراهية الغرب ومحاربة بلاد الكفر، ووضعت في سجلاتها وصفا إرهابيا على كل مسلم يعيش في الولايات المتحدة أو في أوربا ، وبدأت المخابرات والأجهزه الأمنية في تعقب المسلمين والقبض عليهم وإخضاعهم لتحقيقات مطولة حول قضايا لا يعلمون عنها شيئا وحدث لم يشاركوا فى صنعه، ولم تراع الإدارة الأمريكية بالا، أو اهتماما بمبادئ كانت تنادى بها فى السابق من الديمقراطية والإنسانية وحقوق الإنسان والحيوان والقطط والكلاب بما فى ذلك من حقوق الشواذ والمدمنين.

وهذا ما يعيد إلى الأذهان التصور القديم الذى سبق وأن طرحه الأمريكى "صموئيل هنتنجتون " من أن الصراع القادم سيكون بين الإسلام والغرب وكان تعقيبه على الحدث مؤيدا للسياسة الأمريكية وقال: إن الولايات المتحدة بعد الأزمة كان من حقها أن تفعل أى شيء مخترقة في ذلك كل القوانين والأعراف والمثل التي كانت تؤمن بها في السابق، ومن حقها أيضا أن تتعامل مع الأزمة بشكل إمبريالى – استعماري وهي إما أن تكون دولة إمبريالية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أو تكون دولة عظمى أو قطبا أوحد.

كما أن أطروحة الغرب العلماني والشرق المتدين استحوذت وتستحوذ على مخيلة الكثيرين من المثقفين وعامة الناس فى أوربا وأمريكا ، وأن تمايزهما مسؤول إلى درجة

كبيرة عن درجة تطورهما وقدرتهما على مواجهة قضايا التنمية والتعاطي معها بفعالية، ويربط بعض المراقبين الغربيين ضمنيا بين فشل المجتمعات العربية والإسلامية في عملية التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وعدم قدرتهم على تحديد أطر العلاقة بين الدين والسلطة، فالاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي ينعم به الغرب ما هو إلا نتيجة طبيعية لتحجيم دور الكنيسة في المجتمع والدولة.

فالمفكرون في العالم الغربي يطالبون بضرورة عزل وفصل الدين عن السلطة في الشرق لتمكينه من تحقيق تنمية شاملة ، والنهوض حضاريا دون الاعتبار للتمايز والاختلاف في النمو والتطور التاريخي لكلتا الحضارتين وتنوعهما ، ويزعمون أن ثمة علاقة سببية بين الشرق المتدين ونمو تيارات أصولية متطرفة تسيس الدين وتستغله لمصالح سياسية ولا تتورع عن استعمال العنف والإرهاب للاستيلاء على السلطة وينشأ من جراء ذلك صراع بين الحركات الأصولية والنظم السلطوية التي لا تتورع بدورها عن المزايدة في استغلال الدين للبقاء في الحكم .

وبالتالي كان تعامل الولايات المتحدة مع الأحداث من منطلق أنها دولة عظمى وإمبراطورية كبرى يجب أن يخشاها الجميع ومن حقها أن تفعل ما تشاء ، ويسجل التاريخ القديم لأمريكا العديد من الصفحات السوداء في الحروب والدسائس والمؤامرات في الكثير من البلدان العربية والعالمية.

ويذكر الراهب البوذى " تيتش ثين ماو" وهو أحد الرهبان العظام في فيتنام أنه وخلول منتصف عام ١٩٦٣م تسببت الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على فيتنام في مقتل (١٦٠) ألف شخص، وتشويه (٧٠٠) ألف آخرين ، واغتصاب (٣١) ألف فتاة،ونزع أحشاء ثلاثة آلاف أسير ،وإحراق أربعة آلاف جندي فيتنامي حتى الموت ، وتدمير ألف معبد و(٤٦) قرية بالمواد الكيماوية والذرية .

أما في حربها مع اليابان فقد قامت (٣٣٤) طائرة أمريكية مقاتلة بتدمير(١٦) ميلا مربعا من طوكيو ، وإسقاط القنابل الحارقة عليها وقتلت (١٠٠) ألف ياباني وشردت ملايين آخرين ، ويصف أحد الجنرالات العسكريين في اليابان ويدعى " كريتس لوماى " أن الجزيرة التي تعرضت للقصف الذرى الأمريكى كانت شديدة الحرارة حتى إن الماء وصل لدرجة الغليان في المسطحات المائية المجاورة وانصهرت الهياكل المعدنية في المصانع والكباري، وتفجر الناس من شدة اللهب وتعرضت (٦٤) مدينة

يابانية فضلا عن هيروشيما ونجازاكى لقذف ذرى أسفر عن مقتل (٤٠٠) ألف يابانى لا ذنب لهم فيما يحدث من حروب وصراعات.

وفى الحادى عشر من سبتمبر تجرعت الولايات المتحدة من نفس الكأس التى أذاقتها لشعوب سابقة وشعوب منتظر الهجوم عليها بعد أفغانستان والحرب على العراق والقضاء على نظام صدام حسين مثل إيران وكوريا الشمالية، وقد تكون سوريا والسودان في حاجة إلى عمليات عسكرية سريعة لتحقيق ما تريده الولايات المتحدة وهو تأديب هذه الأنظمة ، وقد تكتفي بالتهديد إذا ما تحسنت العلاقة بين الولايات المتحدة وسوريا ونظام البشير في السودان.

أما كوريا الشمالية فهي وضع مختلف عن سابقيها حيث ماتزال العقلية هناك تتذكر ما فعلته الولايات المتحدة بها في فترة من عام (١٩٥٢م) إلى (١٩٧٣م) حيث تسببت الولايات المتحدة في مقتل مليون كوري في بيونج يانج ، وبالتالي فقد ترجئ الولايات المتحدة تصعيد حملتها الإعلامية والعسكرية ضد كوريا الشمالية إلى ما بعد القضاء على النظام الشيعي في إيران الإسلامية أو نظام البشير في السودان، وقد تفكر أكثر من مرة قبل الهجوم العسكري أيضا على إيران، وهى على ما يبدو ليست هي إيران القديمة، أو إيران الصفوية، أو إيران القاجارية، أو البهلوية، أو الدولة الملحقة بهذا القطب الدولي أو ذاك وإنما هي إيران الإسلام، فلا تكاد تذكر إيران إلا ويذكر معها الإسلام السياسى الذي بات يشكل جوهرها وقوام وجودها.

وعلى الرغم من تلك الحقائق إلا أن طبول الحرب ما تزال تدق تجاه الشعب الإيرانى حينا والسوري حينا آخر ، وزادت درجة التصعيد بعد أن انتهت الولايات المتحدة من الحرب على العراق والتي استمرت ليست لثلاثة أسابيع كما أعلنت ذلك الإدارة الأمريكية ، وإنما هي في حسابات الحروب تعد من أطول الحروب التي شهدها القرن الماضي، فقد استمرت الحرب (١٢) عاما منذ حرب الخليج الثانية (١٩٩٠م) وهى تستعد لهذا المشهد، واستطاعت خلالها الولايات المتحدة أن تلعب دور الحاكم العسكري في منطقة الخليج فكان الحصار بالتجويع والترويع حتى كان الاحتلال الفعلي في أبريل (٢٠٠٣ م) .

بيد أن الملاحظ أيضا أن طبول الحرب المدوية فى المنطقة العربية تريد بها الولايات المتحدة وقوى التحالف بث الرهبة والهيبة في نفوس الدول الحليفة والغير حليفة على

حد سواء، فهي تضغط على دول حلف الأطلنطى ودول الخليج وفى مقدمتهم المملكة العربية السعودية بعد الإشارة إلى تورط نظامها في تقرير المخابرات الأمريكية حول أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، ثم ابتزاز السودان لكى تقدم المزيد من التنازلات لصالح مجموعة المتمردين فى جنوب السودان بزعامة "جون جارانج " ، وتقوم بتخويف إيران من خلال دعم المقاومة الإيرانية في الخارج، وحركة الطلاب الذين يطالبون بإصلاحات جديدة لم تتمكن الحكومة الإيرانية من تحقيقها فى السنوات السابقة، كما تهدد سوريا التي لا تملك من القوه العسكرية ما يدفعها إلى الوقوف أمام الصواريخ الأمريكية الموجهة بالأقمار الصناعية إن لم تستجب لمطالب البيت الأبيض من طرد عناصر حزب الله الموالى لإيران من أراضيها ، وهذا لا علاقة له بالشعور القومى ولكن تلك إمكانات دولة عظمى يطلق عليها الولايات المتحدة لم تستطع رغم قوتها وعقليتها العسكرية تفادى حادث مثل تفجيرات سبتمبر (٢٠٠١م) .

ومع أن الولايات المتحدة دولة لا يوجد لها تاريخ معروف، ولا جذور يتغنى بها الطفل الأمريكى فى طابور الصباح بالمدارس ودور الحضانة، أو حتى ضمير حي يوحد شعبها، إلا أن الواقع يؤكد أنها الدولة العظمى الوحيدة في العالم الآن، بل إن استطلاعات الرأى التى تنشرها وسائل الإعلام الصهيونية فى الولايات المتحدة عن الولاء ومدى التوحد مع السياسة الأمريكية هى فى حقيقتها أرقام غير صحيحة، وأن الشعب الأمريكى لا يرى فى الكون إلا نفسه ، بل إن القاسم المشترك بين فئاته هي المصلحة المادية والمنفعة التي تعود عليهم من وراء السياسة التى تتبناها الإدارة الأمريكية، ويدون التاريخ في صفحاته ما قام به الأمريكان من إباده الهنود الأصليين والذين تقلص عددهم نتيجة أعمال القتل والتشريد من عشرة ملايين قبل أن يكون هناك ما يعرف الآن بأمريكا إلى (٢٠٠) ألف فقط.

وبالتالي لم تكن هناك مشكلة في أن تتعايش داخل الولايات المتحدة الأمريكية أجناس الأرض جميعها الأبيض مع الأسود، والمسلم مع المسيحي، واليهودي مع الهندوسي، والكاثوليكي مع البروتستانتى والشيعي مع السني والقاديانى مع الصوفي، والهندي مع اليابانى، والإيرانى مع السعودي والباكستاني مع الهندي، فالكل يدخل تحت مظلة واحدة فى إطار ما يعرف بالسياسة الأمريكية.

بل إن أوزبكستان وهي إحدى الجمهوريات الإسلامية الروسية التي كانت محل نقد من الولايات المتحدة تحولت بين يوم وليلة من دولة لا تحترم حقوق الإنسان ولا القانون الدولي ، ودولة ترعى أحد الأحزاب السياسية الإسلامية على أرضها وتعترف به رسميا، إلى دولة حليفة وصديقة للولايات المتحدة والاعتداء عليها يعني الاعتداء على الولايات المتحدة ذاتها، وذلك بعدما أدركت الإدارة الأمريكية أهميتها ومصالحها في المنطقة ومع أوزبكستان تحديدا.

أما في الحالة السعودية والمصرية فالأمر يكاد يكون مختلفا، فقد ركزت وسائل الإعلام الأمريكية على السعودية باعتبارها هي التي تقوم على تمويل الجماعات المتطرفة في العالم ، وأن منها زعيم تنظيم القاعدة "أسامة بن لادن" ، أما مصر-حليفة الولايات المتحدة- فهي الأخرى متهمة بأنها هي التي فرخت خلايا الإرهاب وصدرته إلى غيرها من الدول ، وأنها لم تتعاون بالقدر الكافي مع الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة ضد الدول التي تساند الإرهابيين،ونفت الحكومة المصرية بقوة هذه التهم مؤكدة أنها كانت الضحية الأولى للإرهاب قبل أن تتعرض له الولايات المتحدة ذاتها، وأنها وجهت النصح للعواصم الأوربية التي تأوى الإرهابيين على أراضيها وخاصة أعضاء الجماعات الإسلامية الهاربة من مصر ، وتمنحهم حق اللجوء السياسي إلا أن هذه الدول كانت ترفض مجرد الاستجابة للمطالب المصرية وتحتمي بقوانينها التي ترعى حقوق الإنسان ومبادئ الديمقراطية.

وعلى هذا فقد تخلت أوربا عن مبادئها السابقة وراحت تشن أعنف هجماتها على الأقليات المسلمة التي تتواجد على أراضيها وكشفت مجلة (النيوزويك) الأمريكية في عددها الصادر في (٢٧) أغسطس (٢٠٠٢م) أن أكثر من ثلاثة آلاف أسير من أفغانستان لقوا حتفهم تحت وطأة التعذيب الذي تعرضو له في قاعدة (جوانتانامو) الأمريكية في كوبا، وأعلنت وزارة الدفاع الأمريكية في تقريرها الصادر عام (٢٠٠٠ م) أنها أطلقت (٣١) ألف قذيفة تحتوى على مادة اليورانيوم المخصب أثناء حرب حلف الأطلنطي ضد صربيا، في حين أفاد الحلف أن عشرة آلاف قذيفة من هذا النوع استعملت في حرب البوسنة والهرسك، وأن معظمها كانت تسقط على معسكرات اللاجئين من مسلمي البوسنة والهرسك .

كما أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى تنامي الذرائع والحجج التي مكنت بعض دول العالم من استغلالها لما تقوم به الولايات المتحدة في تصفية حسابات داخلية ضد معارضين لسياستها من السياسيين والإسلاميين ، ومن أبناء الأقليات الإسلامية التي تسعى إلى الاستقلال والانفصال والتعبير عن هويتها وولائها الكامل لعقيدتها، ومن الأمثلة على ذلك ما قامت به الصين ضد مسلمي إقليم (سنكينانج) أو تركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة ، وما قامت به الهند ضد مسلمى جامو وكشمير، وما قامت به روسيا ضد مسلمي الشيشان وأنجوشيا ، وما تقوم به القوات الفلبينية ضد مسلمي الجنوب فى مندناو، وإثيوبيا ضد مسلمي الصومال بزعم وجود جماعات إسلامية متطرفة لها امتداد داخل إثيوبيا، تسبب للحكومة الإثيوبية كثيرا من القلق والرعب وأن لها علاقة بتنظيم القاعدة.

وفى إطار ذلك أيضا قامت إسرائيل بهدم البنية الأساسية للسلطة الفلسطينية بحثا عن أعضاء من تنظيم القاعدة في القدس المحتلة، هذا بجانب السماح لقوات المارينز الأمريكية من تفتيش بعض المناطق باليمن بحثا عن تنظيم القاعدة أيضا ، بل قامت القوات الأمريكية بتدريب وحدات من الجيش اليمنى على مكافحة الإرهاب، الأمر الذي اعتبره بعض الخبراء العسكريين فى العالم العربى خطوة على طريق التواجد الأمريكى في اليمن لتأمين مصالحها عبر مضيق باب المندب وخليج عدن.

يقابل ذلك سلسلة من المقالات كتبها أمريكى - يعد من أكثر الكتاب الأمريكيين تطرفا ضد الإسلام والمسلمين – يدعى " توماس فريد مان " تحمل في كل سطورها كل معاني الحقد والكراهية للعرب والمسلمين وتبث أفكارا مسمومة تقتل كل فكرة جيدة نحو تحسين صورة العرب والمسلمين فى الغرب باسم صدام الحضارات تلك الأطروحة التي فجرها حليفه صموئيل هنتنجتون ، أعقب ذلك سلسلة من الكتابات وعقد المؤتمرات والندوات واللقاءات والأوراق البحثية التي اهتمت بتحليل ظاهرة الإسلام السياسي ووصفها بمسمياتها المختلفة مثل الصحوة الإسلامية أو الأصولية الإسلامية أو التجديد الديني أو الإصلاحى أو تطوير الخطاب الديني إلا أن الظاهرة الإسلامية تظل بحاجة إلى قدر كبير من التعمق والتركيز والتنويع فى دراسة الجوانب المختلفة، والمتعددة للمكونات الفكرية والحركية للظاهرة.

كما كان من العوامل التي ساعدت على نمو حركات الإصلاح السياسي والديني في الشرق والغرب معا المبالغة في مكافحة هذه الحركات أمنيا ، وبالتالي خلق أجواء من القمع والعنف والملاحقة والقهر نالت من الكثيرين من الأبرياء، وكان ذلك ذريعة لإحكام قبضة الدولة على السلطة ومقاليد الحكم في وجه كل المعارضين والساخطين من كل التيارات السياسية والفكرية والدينية المختلفة، وبخلاف هذه الصورة التي تبدو قاتمة عن وضع الإسلام فى الغرب ارتبط الإسلام بطريقه أو بأخرى بكثير من الأحداث المهمة والمؤثرة التي شدت انتباه العالم وقت حدوثها مثل حرب أكتوبر(١٩٧٣م) ونداء الله أكبر أثناء لحظات العبور، وارتفاع سعر النفط الخليجي وقت الحرب، وقيام الثورة الإسلامية في إيران بزعامة الإمام الخميني، وغزو صدام حسين للكويت عام (١٩٩٠م) وتنظيم القاعدة ، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ولعبت إسرائيل وأصدقاؤها فى ظل الأزمة دورا حيويا في تعبئة القلوب والعقول خوفا، في الغرب عامة إزاء صعود ظاهرة الإسلام السياسي أو الأصولي ، ونجحت في تهيئة مناخ معاد للظاهرة الدينية والإحياء الإسلامى وتعميم أطروحة الغرب العلماني، الديمقراطى ، العقلاني والنامي من جهة، والشرق المتدين، المتطرف، المتخلف، واللاعقلاني والسلطوي من جهة أخرى، وتم تصوير الدين الإسلامىعلى أنه السبب الرئيسي والمباشر لفشل العالم الإسلامي في تحقيق التنمية وساعد على ترسيخ هذا التصور سلوك بعض التيارات الإسلامية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ليتم تسويق وترويج أطروحة الشرق المتدين والمتشدد والغرب العلماني المتسامح عبر وسائل الإعلام التابعة للصهيونية العالمية.

والثابت أن الصراع بين الإسلام والغرب القائم في أكثر من مكان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لن يتوقف طالما أن هناك تمايزا بين الثقافات ، فالصراع في آمنيا على ما يبدو هو صراع فكرى سياسي حضاري يرتبط بالتبشير الصليبي الذى تحركه العقيدة في هذه البقعة من العالم ،وفى الهند قامت الهندوكية والبوذية بالعمل على إباده المسلمين على أراضيها والمثال ما حدث ومازال يحدث في بورما، وتايلاند ، وسيرلانكا، وسنغافورة، وفى الفلبين حيث تسيطر الكنيسة على مقاليد الحكم هناك، واستطاعت الكنيسة الكاثوليكية إسقاط الرئيس "إستيردادا "وإجباره على التنازل عن السلطة، وكان "جيمي سين كاردينال" هو صاحب فكرة تولى "جلوريا "رئاسة

الفلبين حاليا والتي أقسمت على الإنجيل بعد توليها الحكم، وتعهدت القضاء على الجماعات الإسلامية في جنوب الفلبين.

obeikandl.com

ماذا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الواضح مما سبق أن هناك ظاهرة تميز العمل السياسى فى كل مكان تقريبا من العالم ، تتمثل فى عدم القدرة على التكيف مع المتغيرات التى حدثت فى العالم فى مطلع عقد التسعينيات وحتى الآن، لا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة ، وانهيار الاتحاد السوفيتى القديم ، وظهور ما يعرف بمسألة الأقليات والأصولية الإسلامية في العالم العربى والغربى، وزادت الأمور تعقيدا بعد التفجيرات التى أصابت الولايات المتحدة فى الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م) .

وقبل عقد التسعينيات من القرن العشرين، كانت مشكلات العالم – قوميات وأقليات، دولا وجماعات – أفرادا ومنظمات موزعة على المعسكرين (الشرقى، والغربى) فما كان يؤيده الأول يعارضه الآخر والعكس، الأمر الذى كان يحدث نوعا من التوازن إلى حد ما فى ميزان السياسة الدولية، ولكن وبعد سقوط أحدهما ظل الآخر وهو الولايات المتحدة الأمريكية هو المكلف بحل جميع مشكلات العالم من (حدود، وصراعات طائفية، وتطرف، وإرهاب، وأعمال تخريبية هنا وهناك).

وأصبح الهدف الأول للولايات المتحدة بعد أن استقرت كل الأوضاع لصالحها، الحد من منع استحداث المجتمعات العربية أو الإسلامية لقدرات عسكرية قد تهدد المصالح الغربية في المرحلة القادمة وتنامي ما يعرف بالصحوة الإسلامية وظاهرة الإسلام السياسي، وقد حاول الغرب الوصول إلى هذا الهدف المنشود عن طريق الاتفاقيات الدولية والقيود المفروضة على نقل تكنولوجيا السلاح النووي إلى الدول الإسلامية وخاصة إيران والعراق وسوريا وليبيا ومصر والسودان ولكن لم يستطع .

فأوربا قبلت التدخل الأمريكي في يوغوسلافيا السابقة مع وجود كيان دولي منافس وهو الاتحاد الأوربى، بل سعت أوربا إلى ذلك جاهدة وذلك لإنقاذها من الأصولية الإسلامية ، وبسبب العجز الذي أصابها في كيانها كاتحاد أوربي اعتقد أنه قادر على حل مشاكله دون الحاجة إلى الولايات المتحدة؛ نظرا لكونه يضم جميع الدول الأوربية في حلف واحد، في الوقت الذي طالبت فيه الطوائف المسيحية في الولايات المتحدة وألمانيا المجموعة الأوربية بالتوقف عن تسليح – أعداء إسرائيل – من العرب والمسلمين، حتى إن المواطن الغربي نفسه أصبح لديه معتقد عدائي ضد الإسلام والمسلمين من خلال المضامين التي تقدمها له وسائل إعلامه في الليل والنهار وتشويه

الصورة العامة عن الإسلام، وقد يفهم المواطن الغربي الآخر المسلم المقيم في بلاد الغرب، على أنه مواطن قادم من منطقة تضم عشرات المتناقضات حيث النفط والجماعات الإسلامية المتطرفة، والفن والرقص، والليل والسهر، وشبكات الدعارة، والمجلات المخلة بالآداب والذوق العام، والمدنية الحديثة، والإرهاب والتزمت الديني، والإسلام السياسي ، أو قد يفهمه من منطلق أنه مهاجر جاء ليزاحمه في العمل أو الوظيفة وبالتالي يتعدى على حقوق ليست من حقه بل من حق المواطن الغربي المسيحي فقط.

أخيرا يبدو أن المخرج من محنة الأقليات الإسلامية في العالم لم يأت بمعونات تقدم أو مؤتمرات أو ندوات تعقد في هذا البلد أو ذاك ثم تنفض، أو توصيات يصرح بها مسؤولون أو غيرهم دون أن تكون ملزمة على الإطلاق لأي طرف من أطراف الصراع، وبالتالي يظل الوضع كما هو عليه ولا تتقدم القضية نقطة واحدة على طريق الحل.

ولكن المخرج يأتى عن طريق واحد ليس بالطبع طريق المنظمات والهيئات الدولية أو الخيرية أو الإغاثية ، وإنما عن طريق الأنظمة السياسة في البلدان الإسلامية، بمعنى أن تتبنى الدول الإسلامية القضية والسعي نحو إيجاد حلول لها مع الدول الكبرى، فالبلدان الإسلامية بإمكانها تقديم الكثير من الدعم المعنوي للأقليات الإسلامية في الوقت الراهن، والعمل من أجل تبنى قضايا هؤلاء من منطلق أنهم امتداد طبيعي للعالم الإسلامى خارج أراضيه وذلك من خلال إستراتيجية ناجحة وخطط وبرامج مكثفة لرفع الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي لهم، واستيعاب كل القضايا المطروحة في مجتمع الأقليات الإسلامية.

واجب المسلمين فى العالم نحو الأقليات المسلمة فى الغرب

وبعد تناولنا لطبيعة المشكلات والقضايا التي تعوق فعالية الأقليات الإسلامية في الخارج قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)، ومعالجة الخطاب العالمى لها والنتائج التي توصل إليها سواء التي تتعلق منها بالوضع السياسي أو الاجتماعي للأقليات المسلمة والملاحظات التي سجلها الباحث عليها من خلال الإطار النظري يأتي في النهاية الدور لطرح عدد من المقترحات أهمها:

١- العمل على دعم الأقليات الإسلامية في الخارج مادياً ومعنوياً فالأقليات الإسلامية في إفريقيا مثلاً تعانى من الفقر والجوع في الوقت الذي بلغ فيه حجم الأموال العربية الإسلامية المهربة إلى الخارج فقط (٣٥٠ مليار دولار) ورأس المال العربي الذي يعمل داخل البنوك الأجنبية الأوربية بلغ (٧٥٠ مليار دولار) في الوقت الذي يموت فيه آلاف الأطفال المسلمين من شدة الجوع في كل من البوسنة، وكوسوفا،وكشمير،والشيشان .

٢- إن الأقليات الإسلامية في حاجة ماسة إلى منظمات ومؤسسات واعية ينطلق عملها الإسلامي من أسس علمية وأساليب عصرية تحقق للأقليات تعميق انتمائهم للإسلام واعتزازهم به حيث ما تزال توجد تجمعات إسلامية كبيرة في دول الاتحاد السوفيتي السابق لا تعرف أن شرب الخمر أو الزنا من أكبر الكبائر التي يحرمها الدين الإسلامي.

٣- تجنب الخلافات القومية والمذهبية بين أبناء الأقليات الإسلامية في الخارج وليكن الحكم في مختلف الأمور كتاب الله والسنة المطهرة والاجتهاد الصحيح.

٤- توفير قنوات مفتوحة للاتصال واستقاء الأخبار والآراء من سفارات الدول العربية والإسلامية في الخارج بما يتفق مع حاجات العمل المهني الإعلامي والمتابعة لأحوال الأقليات الإسلامية في الخارج.

٥- ضرورة وجود حماية حقيقية من غزو الأفكار الهدامة التي تؤثر بشكل أو بآخر على مدى مساهمة المسلم في الخارج مع مجتمع الأقليات المسلمة هناك.

٦- المطالبة بمنع الاختلاط بين البنين والبنات في التعليم وخاصة في مرحلة المراهقة في الدول الإسلامية وفى أوساط الأقليات الإسلامية في الخارج.

٧- تشجيع رجال الأعمال المسلمين على استثمار بعض أموالهم في مجال الإعلام الإسلامي الهادف، وإعداد البرامج التي تنقى الدين من الشوائب التي علقت به وتحسين صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب.

٨- تشجيع التعليم باللغة العربية لأبناء المسلمين المقيمين بالخارج وذلك من منطلق الحرص على ارتباطهم بالعقيدة الإسلامية وباللغة العربية التي كُتِبَ بها القرآن الكريم.

٩- الاهتمام بإعداد الدعاة المؤهلين علمياً لمخاطبة أبناء الأقليات الإسلامية بالخارج ودعمهم الدعم الكامل من الحكومات والمنظمات الإسلامية المختلفة.

١٠- إنشاء هيئة متخصصة للتعليم الإسلامي تكون مهمتها وضع الخطط والمناهج المناسبة لأبناء الأقليات الإسلامية في المراحل التعليمية المختلفة بما في ذلك الجامعات والمعاهد.

١١- المحافظة على أطفال المسلمين في أوربا وإقامة دور الحضانة والمدارس التي تقوم على رعايتهم والتنشئة السليمة لهم وإيجاد الكوادر الصالحة للتدريس.

١٢- مناشدة الحكومات الإسلامية والعربية بالاهتمام بقضايا المسلمين بالخارج ومناصرتهم

١٣- إنشاء مراكز إعلامية متخصصة للرد على الأكاذيب التي يقوم الإعلام الغربي على لصقها بالإسلام بما في ذلك وصفه بالإرهاب والأصولية والتطرف والدموية.

١٤- الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة والأقمار الصناعية العربية لتحقيق الترابط بين المسلمين في المجتمعات الإسلامية ومناطق تواجد الأقليات الإسلامية في الخارج.

١٥- دعوة أجهزة الإعلام بالدول العربية والإسلامية إلى توجيه عناية خاصة لنشر الموضوعات التي تستهدف التواصل المعرفي بين أبناء المسلمين في العالم.

١٦- الاهتمام بقضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية والتعريف بها لدى أبناء الدول الإسلامية لإيجاد روح من التعاطف تجاه ما يتعرضون له من عنف واضطهاد.

١٧- دعوة المنظمات والتيارات الإسلامية في الخارج إلى التوحد والعمل المشترك من منطلق خدمة الدين وليس لأهداف مذهبية أو وطنية أو حتى أهداف سياسية.

١٨- دعوة العلماء والمفكرين إلى إعداد قوانين الإسلام وشرحها بصورة سهلة حتى يسهل على أبناء الأقليات الإسلامية فهمها وتطبيقها دون عناء أو تعب .

١٩- إصدار جريدة أسبوعية أو شهرية تتولاها بعض المنظمات أو الهيئات التي تعمل على خدمة الدعوة الإسلامية ويكون من أهدافها متابعة أحوال المسلمين في الخارج .

٢٠- إنشاء أقسام للإعلام الإسلامي بالجامعات العربية والإسلامية لاستخراج الكوادر التي بجانب اهتمامها بالحصول على الخبر يكون هناك اهتمام مماثل بمصداقية الخبر بعيدا عن الإثارة أو التهويل .

٢١- إفساح المجال في الصحف العربية للموضوعات الدينية ، ومنح هذا المجال المساحة التي يعبر بها عن تواجده ورؤيته لمختلف القضايا من منطلق أن هناك عودة جامحة لدى الشباب إلى الدين والفضائل والقيم التي يتسم بها الإسلام .

٢٢- جعل قضية الأقليات الإسلامية في الغرب ضمن جدول أعمال المباحثات بين كل من الجانب الإسلامي ، والجانب الغربي مثلما يفعل الغرب عندما يطرح في مباحثاته دائما قضايا الأقليات غير الإسلامية ، وتحديدا الأقباط في الدول العربية والإسلامية .

٢٣- إعادة تنظيم الدور الذي من المفترض أن يقوم به الأزهر الشريف تجاه الأقليات الإسلامية والعمل على إعداد كوادر علمية مؤهلة بحق للدعوة في أوساط هذه المجتمعات وبمختلف اللغات وأن تكون الدعوة شغلهم الشاغل .

٢٤- مساندة الأقليات الإسلامية التي تتعرض لضغوط لتغيير الأسماء الإسلامية ، والحفاظ على هوية المسلمين في الخارج ، وكذلك حقهم في العمل والارتقاء في الوظائف مثل غيرهم من أبناء المعتقدات والأديان الأخرى .

٢٥- دعوة المؤرخين من أساتذة الإعلام والتاريخ والجغرافيا والسياسة لإعداد إحصائيات حقيقية عن الأقليات الإسلامية في الخارج والوقوف على ما يحتاجون إليه وكذلك الوقوف على طبيعة المشكلات في كل بيئة على حدة .

٢٦- دعوة الدول الإسلامية إلى التكافل الاجتماعي وذلك بدعوة أصحاب الأموال والاستثمارات الكبرى بالدول العربية والإسلامية إلى توجيه أموال الزكاة لدعم الأنشطة التي يقوم بها أبناء الأقليات الإسلامية في الخارج .

٢٧- إصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية وباللغات الأجنبية ومراكز لشؤون الأقليات الإسلامية ، مع وضع أطلس جغرافي وتاريخي لرصد تجمعات الأقليات الإسلامية في الخارج والقضايا والمشكلات التي تعوق ما يمارسونه من أنشطة.

٢٨- تفعيل دور اتحاد الإذاعات الإسلامية ووكالة الأنباء الإسلامية والعمل على إعداد البرامج التي من شأنها توضيح حقيقة الإسلام لدى الغرب، وتبنى قضايا الأقليات الإسلامية والعمل على إبراز ما يقوم به أبناء الأقليات الإسلامية.

٢٩- مد جسور التعاون بين أبناء الأمة الإسلامية والأقليات المسلمة فى الخارج والعمل على جعل كل المسلمين (أقليات وأغلبيات) كيانا واحدا حيث لا فرق بين المسلم العربي وغير العربي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

٣٠- القيام بدور إعلامي ناجح وذلك عن طريق فتح قنوات اتصالية مع المؤسسات الغربية وإصدار النشرات والدوريات باللغات المختلفة عن الأقليات المسلمة والأنشطة التي يقومون بها.

٣١- العمل على حل مشكلة اللاجئين من أبناء الأقليات الإسلامية والمطالبة بعودتهم إلى أراضيهم بعد أن هدأت الأوضاع نسبياً في البلقان وبعض الدول التي ساد فيها صراع ضد الأقليات الإسلامية مثل : بورما، وبلغاريا، وإريتريا، والبوسنة، وكوسوفا، وكشمير .

٣٢- دعوة الحكومات العربية والإسلامية إلى إقامة " أمم متحدة إسلامية " على غرار منظمة الأمم المتحدة وخاصة في ظل تهميش الولايات المتحدة لدورها فى العشر سنوات الأخيرة وذلك حفاظاً على الأراضي الإسلامية من الاغتصاب، والأقليات الإسلامية من الاضطهاد والبلدان العربية من استنزاف ثرواتها الطبيعية بدون وجه حق، وبالتالي يصبح للمسلمين أقليات وأغلبيات الكيان العالمي الذي يهابه الغرب ويصبح بحق المارد الذي تخشاه الولايات المتحدة وبلدان أوربا المختلفة، منذ أن توارت أسطورة الاتحاد السوفيتي القديم والأيديولوجية الشيوعية في آسيا وأوربا مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وضرورة تجاوز الخلافات المذهبية (سنة وشيعة) والعمل لصالح الدين طالماً أن مصدر التشريع واحد، وهو الله سبحانه.

٣٣- إبراز سلاح المقاطعة السياسية والاقتصادية تجاه الدول التي تضطهد المسلمين على أراضيها، والبعد عن الشعارات والنعرات القومية، وأن تتوحد الأنظمة لصالح الدين الإسلامي والاعتقاد الكامل بأن في الإسلام حلولاً لكافة الأزمات التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية من ناحية وشعوب العالم أجمع من ناحية أخرى.

ومن هذا يصبح من الضروري العمل على بعث روح الأمة الواحدة والجسد الواحد في جميع المسلمين والتركيز على عقيدة الولاء لكل مسلم في كل موقع، والبراء من كل كافر في أى موقع مع تعزيز الانتماء إلى الأمة الإسلامية باعتبارها خير أمة أخرجت للناس وضرورة أن تكون هناك هيئات علمية وشرعية متخصصة تعنى بفقه الأقليات وحل المشكلات التي تواجههم في ضوء الكتاب والسنة.

obeikandl.com

الخاتمـــة

تنطلق هذه الدراسة ومنذ البداية من تحيزات معلنة لا يمكن إخفاؤهـــا أو إنكارهـــا ليس من باب انتماء الكاتب للأغلبية المسلمة، وإنما نظرا لارتبـــاط القضـــية بوضـــع المسلمين في العالم – أقليات وأغلبيات– و (مليار ومائتا مليون) مسلم – متـــهمون في دينهم وعقيدتهم من جراء ما قام به تنظيم القاعدة بزعامة "أســـامة بـــن لادن " مـــن تفجيرات في الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م) هزت الكيان الأمريكـــي ، ودفعتـــه كالوحش الجائع ينهش في جسد المسلمين هنا وهناك دون تعقل أو تدبر لما يقوم به؛ إذ إن الدين الإسلامى ليس بهذه الصورة المعروضـــة الآن في الإعـــلام الغـــربي المـــوالى للصهيونية العالمية التي أدارت الحادث لصالحها، يساندها في ذلك العديد مـــن الـــدول الأوربية التي اعتبرت أن ما قام به "ابن لادن " كان ضد المسيحية والحضارة الغربيـــة ، ونابعا من الكره الذي يملأ قلوب المسلمين تجاه أوربا المسيحية منذ أن شـــن الغـــرب المسيحي حروبه الصليبية الشهيرة ضد المسلمين في الشرق ومنطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر.

والواجب الإسلامى الذي تفرضه العقيدة هو واجب التأييد والنصرة، ولكن كان علينا أيضا وتجاه أنفسنا واجب حسن الفهم من ناحية وواجب النصرة مـــن ناحيـــة أخرى، حيث كان لزاما على الكاتب أن يتعدى اهتمامـــه الحماســـة والانفعـــال إلى ضرورة التمكن من فقه الواقع، أي فقه السياق المحيط بهذه القضايا والمشكلات الـــتي أفرزها، وما يفرضه أو يتطلبه هذا الفقه من مهام ومواقف تتعدى الإشـــادة بأعمـــال الإغاثة الإنسانية، أو التسطيح والإجادة في التغطية والتناول والتحليل، وتتعدى مجـــرد توجيه الاتهامات لطرف أو التهليل لطرف آخر .

كما ترتب على إغفالنا للدراسات السوسيولوجية للشخصية الإسلامية بوجه عـــام في البلاد غير الإسلامية– الأقليات المسلمة– أن أصبح بين أيدينا كما ضـــخما مـــن الدراسات والمؤلفات الموجهة ضدنا، دون أن نعرف بموضوعية عـــن حقيقـــة هـــذه الأقليات شـــيئا – مالها وما عليها – وما يحاك حولها وماذا تريد، دون وضوح لمنـــهج أو خطوات تحدد ملامح الطريق ؟ الأمر الذي دفع هذه النوعية من القضايا لأن تظهر مرة واحدة داخل بنية الخطاب الإعلامي العربي والإسلامى.

وكان من المفروض أن يجد حلولا لهذه المشكلات قبل تفاقمها إلا أنه وفى معالجته للكثير من القضايا كان مكتفيا بدوره الذي لم يخرج عن إطار نقل أحداث الصراع والمتابعة اليومية لكل ما يحدث للأقليات الإسلامية فى بلدان العالم المختلفة، وأعمال العنف التي تشن هنا وهناك ضد الأقلية المسلمة فى أمريكا ، والاضطهاد الذي تمارسه أوربا ضد مسلمي البلقان ، وما تقوم به الهند ضد المسلمين الأكثر عددا فى شبه القارة الهندية (٢٠٠) مليون مسلم ، مثله فى ذلك مثل غيره من الخطابات الإعلامية الغربية، وذلك وفق ما يعرف بنظرية التبعية الإعلامية للغرب .

وفى هذا الصدد يجب أن نعترف شئنا أم أبينا من باب نقد النفس إلى النفس أن ما يبدو من سلبيات وخلل في سلوك بعض أفراد الأقليات المسلمة هو نتاج لأزمة الفكر في الأمة الإسلامية،بشكل عام وقصور في وعى العقل بتعاليم الإسلام الصحيح، يقابل ذلك كله الجهل بالآخرين والتهوين منهم والتهويل لهم،مع أن الآخرين يعرفون الكثير من ثقافتنا،وعن العادات والتقاليد الإسلامية ما لا يعرفه الكثير من المسلمين،كما أن مراكز بحوثهم العلمية لا تكف عن دراسة الظاهرة الإسلامية في مختلف دول العالم .

ومن هنا يجب أن نضع في الاعتبار أنه لا توجد معايير ديمقراطية مطلقة لا على المستوى العربي أو العالمي، حيث توجد دراسات نقدية عديدة تؤكد أن وسائل الإعلام الأوربية والأمريكية ذاتها لا تتمتع بالحرية الكاملة في التناول والمعالجة كما يعتقد البعض ويظن ،وإنما تقوم بمهمة أحادية أساسية وهى تختص بصناعة الرأي العام المساند،والمؤيد لما تراه النخبة الحاكمة التي تملك المال والنفوذ والسيطرة في الولايات المتحدة.

وبالتالي فإن وسائل الإعلام العربية والإسلامية سواء التي يصدر منها داخل المنطقة العربية أو خارجها ، كلها أنساق يتحكم في إنتاج خطاباتها عامل السلطة من منطلق أن السلطة متواجدة في أي عمل إعلامي ، وليس شرطا أن ترتبط السلطة بالحكومة أو بالصحف القومية وإنما بالجهة التي تقوم بالتمويل وطبيعة الجهات المنافسة .

وهكذا فإن سياسة تصوير الإسلام في الخطاب السياسي الأمريكي في الفترة الراهنة إنما تكشف عن علاقة جدلية بين تصورات الغرب للمسلمين، وصورة الذات عند المسلمين أنفسهم وسوء الفهم المترسب في الذهن الغربي حول عداوة الإسلام له باعتبار أنه يؤمن بدين آخر وهو المسيحية،وأن المسلمين في الشرق لم ينسوا الحروب

الصليبية التي شنتها أوربا على العالم الإسلامى، حيث قد تتحكم الاعتبارات السياسية في عملية إنتاج الخطاب الإسلامي وذلك عندما تكون هناك علاقات سياسية أو اقتصادية بين دولتين، تختلف الأولى في ديانتها عن الأخرى، فتقوم إحداهما باضطهاد الأقليات الدينية التي تتبع الدولة الأخرى وفى هذه الحالة تصبح الدولة في مأزق كبير، وهو هل تعلى من شأن خطابها الديني على خطابها السياسي وتحتج على ما يحدث لأبناء عقيدتها من المسلمين أم تمسك على خطابها السياسي، وتعتبر الدين والعقيدة شيئا آخر لا علاقة له بالأمور السياسية،وهذا ما حدث تقريبا للخطاب السياسي والإعلامى العربي والإسلامي إزاء موقفه من أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

وكأن الذين يتعرضون للعنف والاضطهاد والتصفية وحروب الإبادة ليسوا من المسمين وليسوا امتدادا للعالم الإسلامى في المجتمعات الأوربية، مع أن الخطاب القرآني قد حث المسلمين أقليات وأغلبيات على الوحدة والاتحاد والكيان الواحد ووصف جموع المسلمين "بالأمة الواحدة والمتماسكة" حيث ورد ذكر الأمة لتدل على الكيان الإسلامي المتكامل (٦٤) مرة وبمعان تحمل دلالات كثيرة .

وقد وردت كلمة " أمة " للدلالة على أية مجموعة من البشر أو غير البشر، فقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ووردت للدلالة على الجماعة المتفقة على شريعة واحدة أو منهج واحد فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة :٤٨] ، كما وردت للدلالة على جماعة جزئية من أهل شريعة معينة فقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، ووردت للدلالة على أتباع شريعة محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران :١١٠] .

ومن هنا يتضح أن الخطاب الإسلامي يتصف بالشمولية ولا يفرق بين (أغلبيات وأقليات)، بل الجميع يشكلون عنده أمة واحدة، إلا أن هذا لا يمنع من أن الخطاب الإسلامي وعلى مدار تاريخه الطويل والمديد قد أصابه بعض نقاط الضعف في آلياته ومنظماته ومؤسساته وعملية إنتاجه على المدى البعيد ، والتوظيف السياسي له من قبل الحكام المسلمين وتأويل النصوص المقدسة لتحقيق مصالح شخصية وليست من الإسلام

في شيء، مما أدى إلى تفوق الخطاب العلماني الغربي حتى أصبح هو الأكثر سيطرة والأقوى نفوذا، كما يعد هو المتحكم في كل الخطابات المطروحة في هذه الحقبة والحقب القادمة، خاصة على مستوى السياسات والأيديولوجيات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي القديم وإن كان الخطاب العلماني هو في الأساس خطابا عقائديا مسيحيا غربيا .

بيد أن المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية كان الخطاب القرآني فيها هو الدافع وراء تحول المجتمع العربي من مجتمع جاهلي " همجي " إلى مجتمع متحضر منظم، واستطاع أن يقود البشرية، قروناً من الزمان إلى طريق الخير والتسامح والسلام، وظل الخطاب القرآني فعالاً قادراً على تعبئة الجماهير المسلمة ودفعها إلى البذل والعطاء بالنفس والمال والوقت، حيث كان نداء حي على الجهاد النصر أو الشهادة تدفعهم إلى الغزو والقتال في سبيل الله ولنشر الإسلام في كل موقع من ناحية، والدفاع عن البلدان الإسلامية إذا تعرضت للغزو والاحتلال من ناحية أخرى.

وإذا كان هناك ما يشبه الإجماع الإسلامى على دعم القضية الفلسطينية وتأييد الحق الفلسطيني، فمن باب الإنصاف أن يكون هناك تأييد مماثل تجاة القضايا الإسلامية الأخرى، مثل الموقف التركي من القضية القبرصية وقضيتي إقليم كشمير وإقليم كوسوفا والقضية الشيشانية أو مناصرة الأقليات الإسلامية المضطهدة في كل من : الفلبين وسنغافورة وهولندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واليونان والهند والصين وإثيوبيا وأريتريا وأوغندا وجنوب إفريقيا، والولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

والأمثلة على المستوى العربي والإسلامى عديدة منها على سبيل المثال قيام إيران في عام (١٩٩٣م) ببيع أسلحة ومعدات حربية إلى صربيا ذات التوجه المسيحي الأرثوذكسي أثناء حربها مع مسلمي البوسنة والهرسك الذين هم على المذهب السني وليس الشيعي. كما أنها تقوم بتأييد الموقف الهندي من قضية كشمير ولا تؤيد الموقف الباكستاني من منطلق أنها دولة ذات أغلبية مسلمة وذات توجه سني أيضا، هذا بجانب وقوفها مع أرمينيا ذات التوجه المسيحي بالنسبة لإقليم ناجورنو كاراباخ الأذربيجاني ذات التوجه السني كذلك .

كما قامت مصر بعقد المزيد من الاتفاقيات التجارية والتكنولوجية مع دولتي الصرب وكرواتيا وقت أن كانت صربيا وكرواتيا تقومان بذبح المسلمين في شوارع سربينتشا وإطلاق الرصاص عليهم وهم يؤدون الصلوات في المساجد، واغتصاب المئات من المسلمات أمام كاميرات الفضائيات العربية والعالمية، ودفن المئات منهن في مقابر جماعية وهن أحياء.

كما أن اضطهاد المسلمين في الصين وتحديدا في إقليم تركستان ذات الأغلبية المسلمة لا يشغل البال العربي والإسلامى، ولا يؤثر في المسلم العربي ما يحدث من مذابح وقتل وتمثيل بجثث المسلمين في الهند، على اعتبار أن الهند تربطها بمعظم الدول العربية والإسلامية علاقات اقتصادية ممتدة من عشرات السنين وتحديدا من عهد الرئيس الهندي الأسبق نهرو، وبالتالي فهي تمعن في القتل وفى معتقدها أنها لن تسمع صوتا ولا حسا من الدول الصديقة- المسلمة - بشأن ما تقوم به ضد أبناء عقيدتها من المسلمين ، واعتبار أن ذلك يدخل في إطار المسائل الداخلية التي لا يجوز لأي دولة من دول العالم الاعتراض على ما تقوم به حتى وان كانت من الدول التي لها علاقات وصداقات مع الهند.

وقد يرجع ذلك إلى أنه لا توجد في العالم المعاصر الآن دولة عربية أو إسلامية تعلى من شأن خطابها الديني على حساب خطابها السياسي وتعلن قطع علاقاتها مع الدول التي تضطهد الأقليات المسلمة على أراضيها، ومن هنا يمكن القول إن قضايا ومشكلات العالم الإسلامى من المشكلات المعقدة التي قد يكون من الصعب التوصل إلى حل بشأنها لا على المستوى الشعبي الذي يكتفي بالمظاهرات والنداءات والكتيبات وشرائط الكاسيت، أو على مستوى الحكام والرؤساء والقادة أو منظمات وجمعيات المجتمع المدني.

وبالتالي فقد أدت التنوعات والتباينات في الخطابات العربية والإسلامية إلى فشل الإعلام العربي والإسلامى في إيجاد خطاب إعلامي موحد تجاه القضايا ذات الطابع المشترك في العقيدة ، أو القضايا ذات الطابع السياسي والاجتماعي في الأحداث عموماً، فالإعلام العربي والإسلامى ما يزال يردد أن المجاهدين في كشمير انفصاليون ومتمردون، وأن المسلمين في كوسوفا منحدرون من أصل ألباني، دون أن يحدد الإعلام الإسلامى هوية هؤلاء الألبان هل هم من المسلمين أم من غير المسلمين.

ويطلق على جبهة مورو الإسلامية فى جنوب الفلبين وصف متمردين وإرهابيين، وغيرها من التعبيرات التي نقلها الإعلام العربي والإسلامى- عن جهل أو قصد- عن الإعلام الغربى دون مراعاة أن الذين يوصفون بأنهم أصوليون ، وإرهابيون ومتمردون، ومخربون ، وانفصاليون ، هم مسلمون هاجروا من مناطق عديدة من الدول العربية والإسلامية ولكن يعيشون كأقليات خارج المنطقة العربية وخارج الدول الإسلامية المشاركة فى منظمة المؤتمر الإسلامي ، وأن على هذه الشعوب العربية والإسلامية مناصرتهم حتى على المستوى الإعلامي إذا كانت المصالح السياسية لا تتطلب الوقوف بجانبهم فى تلك المرحلة العصيبة من بدايات القرن الحادي والعشرين فمتى تكون المناصرة وكيف ؟

ونستطيع القول في النهاية : إن النظام السياسي والاجتماعي المرن والمتسامح، يتمكن من توظيف الشعور بالتميز لدى المجموعات البشرية ، في بناء الوطن وإزالة كل عناصر التوتر، أي أن الديمقراطية تجعل دور التميز دورا وحدويا ، اندماجيا ، بعيدا عن كل أشكال التقوقع والدوائر المغلقة . فالمساواة في الحقوق السياسية والمدنية ، يجعل كل المجموعات البشرية، تباشر دورها الإيجابي في الحفاظ على أمن الوطن ومكتسباته السياسية والاقتصادية والحضارية ، وهذه المساواة لا تتأتى إلا بتحقيق المشروعية الدستورية والمؤسسية للاختلاف والتنوع والتعدد في الوطن الواحد .

وبالتالي فإنه كلما قلت وتضاءلت مستويات الاندماج ، كلما برزت في المجتمع مسألة الأقليات وتداعياتها السياسية والاجتماعية والثقافية، بمعنى أن وجود الأقليات في أي فضاء اجتماعي،يتحول إلى مشكلة حينما يفشل هذا الفضاء ولعوامل سياسية واجتماعية وثقافية عديدة في تكريس قيم التسامح واحترام الآخر وصيانة حقوق الإنسان والمزيد من الاندماج والانصهار الوطني ، حينذاك تبدأ المشكلة ، وتبرز الخصوصيات الذاتية ، وتنمو الأطر التقليدية لكى تستوعب جماعتها البشرية بعيدا عن تأثيرات المحيط وإستراتيجياته المتجهة صوب فرض الانصهار وقهر الخصوصيات الذاتية.

واتسم الخطاب الإعلامي الغربي إزاء الإسلام والمسلمين بالخوف من عدو وهمى حل محل المنظومة الشيوعية، يحمل العنف والإرهاب بين جنباته، فالإسلام المقاتل، وانفجار الإسلام، والخطر الإسلامي، والإرهاب الإسلامي، والمارد الإسلامي،

والأصوليون الإسلاميون ، وتنظيم القاعدة، وحركة طالبان، وصدام حسين، وحزب الله، وحماس ، والمقاتلون الفلبينيون ، كل هذه العبارات والتركيبات لم يتم تكوينها اعتباطاً أو بصورة عشوائية، بل لقد كانت عناوين مثيرة تناولتها الصحف الأوربية في أعقاب الانهيار السوفيتي ، والتفجيرات الأمريكية الأخيرة في واشنطن ونيويورك واتجهت النية بعدها إلى محاصرة الظاهرة الإسلامية بالاضطهاد تارة، والتمييز العنصري تارة أخرى، ومحاولات القضاء على الهوية الإسلامية للأقليات تارة ثالثة .

ساعد على تحقيق هذا كله حالة الضعف التي تمر بها الأنظمة العربية والإسلامية الآن ، بجانب حالة ضعف مماثلة من جانب المسلمين أنفسهم أغلبيات وأقليات مسلمة ، ومن أبرز هذه الحالات التي أدت إلى التراجع الإسلامي في بلاد الغرب والتي لو تم التغلب عليها لأصبح للإسلام والأقليات الإسلامية الشأن الأكبر والمؤثر في أوربا وأمريكا وهي:

- العصبيات العرقية والإقليمية الأمر الذي جعل المسلمين منقسمين فيما بينهم إلى قوميات تعتز كل منها بقوميتها، على حساب الانتماء للمجتمع الأكبر وهو الأمة الإسلامية، أو العمل على وحدة المسلمين أغلبيات وأقليات .
- اختلاف المذاهب والاتجاهات والأيديولوجيات المستوردة من ديمقراطيات وقوميات وغيرها، واستبعاد الإسلام من أي طرح بديل .
- اختلاف الولاءات ما بين بلد وآخر، فهذه الدولة ولاؤها لأمريكا، وأخرى ولاؤها لبريطانيا، وثالثة لباريس، أما رابطة الدين فنادراً ما تطرح في المسائل السياسية، وقد تلعب الدول الكبرى بورقة الدين عند الحاجة إليها .
- اختلاف المصالح الإقليمية والمحلية وتجزئة الأمة الإسلامية إلى فرق وتيارات مختلفة بجانب حرص كل دولة على التفرد بمكان خاص بها في علاقاتها مع الدول الكبرى.
- المكائد الصهيونية المتربصة للعالم الإسلامي من حركات ومنظمات هدامة مثل (الماسونية، والعلمانية ، والصهيونية) الهدف منها ألا يقوم للإسلام قائمة وإظهاره على أنه دين تخلف وعجز ولا يتفق وتطورات العصر الحديث.

obeikandl.com

وبالتالي يجب إضافة بعض التعديلات على العديد من نصوصه المقدسة لتتماشى مع مجريات الألفية الثالثة بداية من المقررات الدراسية على الطلاب في المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة بما في ذلك الجامعات ذات الصبغة الإسلامية مثل جامعة الأزهر في مصر، والجامعة الإسلامية في باكستان، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وتحجيم الهيئات والمنظمات الإسلامية في دول الخليج والأفرع التابعة لها في العديد من دول العالم، ومصادرة كافة الأموال التابعة لها إذا ما ثبت أن هذه المنظمات على علاقة من قريب أو بعيد بتنظيم القاعدة الذي يتزعمه "أسامة بن لادن"، و "أيمن الظواهري" ، و "الملا عمر" ، بجانب القيام بمضاربة البنوك الإسلامية في العالم العربي والإسلامى حتى يظل المسلمون في حاجة دائمة ومستمرة إلى الغرب في مختلف مجالات الحياة.

والحقيقة التي لا يستطيع التاريخ إنكارها أن الإسلام لم يحمل خطة لترهيب أصحاب المعتقدات الأخرى، أو لأسلمة الشعوب التي انضمت إليه، بل احترم خصائصها، والدين الذي تؤمن به، بل لقد جاء الإسلام ودخل هذه الأقطار ليرفع عنها الظلم والاضطهاد والتمييز الذي كانت تتعرض له، ومن هنا فإن حق المساواة في الإسلام مكفول للمسلم وغير المسلم وفق القاعدة الشرعية التي تقول : "لهم مالنا، وعليهم ما علينا ".

وبالتالي فإن أبناء الدين المسيحي لم يتم تقطيعهم إرباً بالسيف عندما كان الإسلام يمتد بعقيدته شرقاً وغرباً، وفى كل اتجاه، معرباً عن سماحته وقدسية المنهج الذي يدعو إليه ؛ إذ يقوم الفكر الإسلامي على مبدأ التسامح مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى، وحدد الدين الإسلامي أسس العلاقة بين الإسلام وغيره من العقائد السابقة عليه كما يوصى النص القرآني بعدم الاعتداء على الغير، وإن كان من غير العقيدة التي يدين بها المسلم فقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة] والسؤال : لماذا كل الأديان والمعتقدات والأيديولوجيات المعاصرة ضد الإسلام والمسلمين ؟ والإجابة فى قراءة الكتاب مرة أخرى .